

من الغيظ دون أن تتلوَّثَ أيديكم بدمائهم .
أيها الناس . إن الله ابتعثَ نبيكم محمداً من
بين ظهرانيكم في الحجاز لحِكْمَةِ طَوْأَها في
علمه ، ولو شاء لبعثه في بلاد فارس والروم
عند مساقط الأمطار و مجاري الأنهار ،
والله أعلم حيث يجعل رسالته . أيها الناس
إن الحجازَ ليس لكم بدارٍ إلا على النجعة .
ولا يقوى عليه أهله إلا بذلك . أين الطُّرَّاءُ
المهاجرون عن موعود الله؟ سيروا في الأرض
التي وعدكم الله في الكتاب أن يُورثكموها ،
فإنه قال ليُظهره على الدين كله ، والله مُظهرٌ
دينه ومُعزٌّ ناصره ومُولٌ أهله موارِيثَ
الأمم . أين عباد الله الصالحون ؟

المشهد الرابع

بدار الامارة في حمص ، أبو عبيدة و خالد
ابن الوليد ومعاذ بن جبل .

أبو عبيدة : ماذا نكتب الآن لأمر المؤمنين ؟
خالد : لا تكتب لأمر المؤمنين شيئاً حتى تتفق
أولاً على الخطة .

أبو عبيدة : هذا رسوله سفيان بن عوف ينتظر جواربنا ،
ولا نستطيع أن نؤخره فنغضب أمير
المؤمنين .

خالد : فاكتب إليه إذن بأنك اتبعْتَ الخطة التي
اقترحتها أنا .

معاذ : بالأُنسِجَاب من حمص ؟

خالد : ومن شيزر وحمّاة ، ومن بعلبك ودمشق ،
ومن كل مدينة حتى نجتمع في الجنوب بالبلقاء
على تخوم أرض العرب .

معاذ : كيف نُخَلِّي مدناً ما خضعت لنا إلا بعد
قتالٍ طويل ؟

خالد : يا معاذ بن جبل إننا لا نريد المدن ولكن
نريد النصر .

معاذ : أبا لتخلي عن مواقعنا نلتصر عليه ؟

خالد : نعم إذا كان يرى ذلك من يعرف أسرار
الحرب ، كما تعرف أنت أسرار الفقه !

أبو عبيدة : إننا لا ننازعك في ذلك يا أبا سليمان ، ولكن
جواب أمير المؤمنين كما ترى يأمرنا بمنأجزة
الروم والإسراع في ذلك ما أمكن ، بُغية
المباعدة بين موعدهم وموعدهم وموعدهم
هُجُوم الفرس .

خالد : يا أمين هذه الأمة إني قرأتُ كتابَ
أمير المؤمنين ففهمته ، وقد أقمتُ نفسي
مقامَ من يُديرُ الحرب في الميدانين معاً في
العراق وفي الشام ، كما فعل أمير المؤمنين ،
ولذلك أشرتُ عليكم بهذه الخطة .

معاذ : سبحان الله ! ألا ترى أن انسحبنا إلى الجنوب
سيؤخر التحامنا بالروم إلى حين ، وأمير
المؤمنين يحثنا على التعجيل ؟

خالد : لا يا ابن جبل . إن ذلك سيطمع الروم فينا
فيُسرعون للقائنا ، فنفرغ منهم قبل أن
يلتجهم إخواننا في العراق بعدوهم . إني
أعرف وادياً على البلقاء لئن استطعنا
أن نستدرج جموع الروم إليه ، لنقبُرهم
فيه .

معاذ : أي وادٍ تعني ؟

خالد : عند نهر اليرموك ، إني لأتخيله الساعة

وَأَتَصَوَّرُ مَوَاقِعَنَا وَمَوَاقِعَهُمْ .

أبو عبيدة : تتخيله قبل أن يقع فيه شيء ؟

خالد : ما من مكان مررتُ به إلا تخيلتُ أنني سأقاتلُ فيه ذاتَ يوم ، فأختار لنفسي أحسنَ موقعٍ فيه !

معاذ : أو قد اخترتَ الموقعَ الأحسنَ فيه ؟

خالد : نعم .

معاذ : وما يدريك ألا يسبقك الروم إليه ؟

خالد : إنما يسبقنا الروم إليه إذا عرفوا سرَّ خطبتنا .

إن علينا أن نجعلهم يظنون أننا خشيْنَا جموعهم ، فانسحبنا من أرض الشام فارين إلى تخوم بلادنا .

معاذ : وكيف تضمن أن يظنوا ذلك ؟

خالد : إذا رأونا نخلي هذه المدن الكبيرة التي فتحناها بشقِّ الأنفس دون سبب فلا ريب أنهم سيظنون أن الخوف هو الذي حملنا

على الانسحاب .

أبو عبيدة : (مُعْجَباً) لِّلَّهِ أَنْتَ يَا أَبَاسْلِيَانَ ، مَا أَبْعَدَ

نَظْرَكَ !

خالد : وافقتَ على الخطة ؟

أبو عبيدة : وافقتُ يا أباسليان ، يئسَدَ أَنِي أَخْشَى أَلَا يُوَافِقَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى ذَلِكَ .

معاذ : لا شكَّ عندي أن أمير المؤمنين لن يُوافق .

خالد : (محتدأً) أميرُ المؤمنين ! أميرُ المؤمنين !

فليحضر أمير المؤمنين بنفسه وليقدِّم الحرب كما يشاء !!

معاذ : إنك تعرف شدته يا أباسليان .

خالد : والله لو كان أمير المؤمنين هنا عندي لكان اقتناعه

أيسرَ عليّ من إقناعِكما . اكتبُ إليه يا أبا عبيدة هذا رأيُ خالد بن الوليد وخلاك ذمّ ، أو اكتبُ إليه إن شئتُ إني سحبتُ الجنودَ من هذه المدن ، دون علمك ورأيك ، فلن

يستطيع أن يعزلي مرة ثانية !!

أبو عبيدة : (في رقة) كلا يا أباسليمان ، بل ساكتبُ
إليه إنه رأيك ، وإنني اقتنعت به ووافقْتُ
عليه .

خالد : إذن والله يا أبا عبيدة لنضربن الروم ضربةً
لا يقومون بعدها أبداً .

المشهور بالخامس

في دار الامارة بدمشق حيث ينزل
أبو عبيدة .
أبو عبيدة وعنده رومانوس

رومانوس : كلا لا تُراجعني يا أبا عبيدة . لقد خابَ والله
ظني فيكم .

أبو عبيدة : (مبتسماً) يا أبا الروم أمنُ أجل أننا رأينا
رأياً لا توافقنا أنت عليه ؟

رومانوس : (في حماسة) ليته كان رأياً فحسب ، إذن
هنا الأمر ؛ ولكن هذا سلوك له ما بعده .
لقد أطرمت كل ما بثتموه في قلوب الروم

الرعب، وزعزعتم كل ما كان لكم في نفوس
أهل البلاد من ثقة وطمأنينة .

أبو عبيدة : ويحك يا أبا الروم ، أو كان يبقَى لنا شيءٌ
من ذلك لو أحاطت بنا جموع هرقل ،
فحاصرتنا في المدن وحالت بيننا وبين كل
مدد يأتينا من أمير المؤمنين ؟

رومانوس : وماذا ينفعكم المدد إذا أخليتكم هذه المدن ،
وهي قلاع حصينة في أيديكم وقلوب أهلها
معكم ؟

أبو عبيدة : إن كانت قلوب أهلها معنا ، فستبقى كذلك
حين نعود إليها بعد النصر .

رومانوس : بعد النصر ! تتركون النصر وهو بين أيديكم
اليوم ، وتطمعون به غداً ؟ !

أبو عبيدة : سل خالد بن الوليد يا أبا الروم لعله يستطيع
أن يقنعك بشيء .

رومانوس : قد سألته فلم أجد عنده شيئاً . لقد خاب

ظني فيك وفيه وفيكم جميعاً .

أبو عبيدة : فيم يا أخا الروم ؟

رومانوس : إني على قرب عهدي بالإسلام لأعلم أن هذا
يخالف روح الإسلام . إن الذي يقول لا إله
إلا الله لا ينبغي أن يخاف جموع كسرى ولا
جموع هرقل . وهذه الروح جئتم أنتم
فانصرتم في كل معركة خضتموها مع عدوكم ،
فما الذي غيركم اليوم ؟ تخشون أن يحاط بكم
ويحال بينكم وبين مدد أمير المؤمنين ،
وتخشون أن تغزى مدينة رسول الله
صلى الله عليه وسلم .. ويحكم متى كنتم
تخافون الموت أو الهزيمة ؟ أو تخافون على
عشيرة أو قوم أو أرض أو وطن ؟ ما بال
عينيك تدمعان ؟

أبو عبيدة : سمعت قولك هذا فذكرت قول الرسول صلى
الله عليه وسلم في خطبته في حجة الوداع ..
رُبُّ مَبْلَغٍ أَوْ عَى مِنْ سَامِعٍ .

رومانوس : (في فرح) أفتنوي يا سيدي أن تعدل عن الانسحاب ؟

أبو عبيدة : الأمر في يد خالد بن الوليد .

رومانوس : أنت الأمير يا أبا عبيدة .

أبو عبيدة : هو أميرُ الحرب .

رومانوس : أو هذا رأيُه هو من دونك ؟

أبو عبيدة : بل هو رأيُنا جميعاً .

رومانوس : يا سيدي يا أبا عبيدة تذكر أنني أنا أيضاً من رجال الحرب . وإني لأعرفُ من حربِ الروم ما لا تعرفون . لا يُعقلُ أن يُغامر الروم بغزو المدينة أبداً .

أبو عبيدة : سيوجهون إلينا أولياءهم من العرب .

رومانوس : ولن يفعلوا ذلك إلا بعد أن يغلبوكم هنا في أرض الشام .

أبو عبيدة : لذلك نحتاجُ يا رومانوس خشية أن يغلبونا .

رومانوس : فقد مهّدت لهم سبيل الغلبة بتخليكم عن هذه

المدن الحصينة .

(يدخل خالد بن الوليد)

أبو عبيدة : هلم يا أبا سليمان اكفني أبا الروم ، فقد ظل يُحاجني في أمر انسحابنا حتى كاد يغلبني بحجته .

خالد : ولقد حاجني قبلك فحاولتُ إقناعه فلم يُرد أن يقتنع .

رومانوس : كيف أقتنعُ وما عندك حجة مقنعة ؟

خالد : صدقت ما أنا بقادر أن أقنعك ، ولا أنت تريد أن تقتنع .

أبو عبيدة : فما أخرج يا أبا سليمان ؟

خالد : أخرج واضح . خبرني يا أبا الروم ، ألسنتَ جندياً من جنودنا ؟

رومانوس : بلى .

خالد : فعليك السمعُ والطاعةُ لأميرك . إن أميرَ الجيش لا يستطيع أن يشرحَ لجنوده كلَّ

شيء ، وإلا فَسَدَ الأمرُ وبطلَ التدبيرُ . إن
حقاً على الجنود أن يثقوا بأمرهم ولا يترددوا
في طاعته ، وغداً سيعرفون ما عسى أن
يكون مطوراً عنهم اليوم .

رومانوس : (في شيء من الرضى) أحقاً يا أبا سليمان
كانت هذه خطة منكم ، ولم تكن عن فرع
من جموع هرقل ؟

خالد : (يضرب على كتف رومانوس) يا أخي لو
كنت تثق بنا ما سألت هذا السؤال .
(يدخل الحاجب) .

الحاجب : أيها الأمير .. رسول من عمرو بن العاص .
أبو عبيدة : دعه يدخل .

(يدخل عبد الله بن عمرو بن العاص)

أبو عبيدة : مرحباً بعبد الله بن عمرو ، مرحباً بالفتى
الصالح . أنت رسول أبيك ؟

عبد الله : أجل أنا رسوله وكتابه .

أبو عبيدة : أنعم وأكرم . وكيف حال أبي عبد الله ؟
عبد الله : تركته في قلقٍ وحيرة لا يدري ماذا أنتم
فاعلون .

أبو عبيدة : ألم يأته كتابنا ؟

عبد الله : بلى . ولكن لم يكن من الرأي عنده أن
تتخلوا عن المدن الحصينة بغير قتال .

خالد : غداً سيتبين لأبيك أن ذلك هو الرأي .

عبد الله : إن انسحابكم من حمص وغيرها من مدن
الشمال كان له أثر سيئ عندنا ، فما كاد
الروم في إيلياء والأردن يسمعون بذلك حتى
ظنوا أن المسلمين قد ذهبوا ريحهم ، فنقضوا
عهدنا وأجترؤا على من قبلنا من المسلمين ،
فذلك ما أوقع أبي في الضيق والخرج .

أبو عبيدة : قل لأبيك يكابد القوم في إيلياء والأردن
رئياً تصل كتابنا إلى البلقاء على التخوم .
فلتوا فونا برجالكم هناك .

عبد الله : أأمر هذا يا أبا عبيدة أم مشورة ؟

خالد : بل هو أمرٌ فلا سبيلَ إلى الرجوع عما أنفدناه .
وإنما المشورةُ عندما نلتقي في البلقاء عند
نهر اليرموك إن شاء الله .

(يدخل سويدُ بن كُلتوم الفهري عاملُ
أبي عبيدة على دمشق)

أبو عبيدة : ما وراءك يا سويدُ ؟ هل ردَدت إليهم
الجزيةَ والخراجَ ؟

سويد : إنهم يرفضون ذلك يا أبا عبيدة .

أبو عبيدة : فماذا فعلت ؟

سويد : أبقيتُ المالَ عندي حتى تتفقَ معهم على شيء .

أبو عبيدة : لا حق لك . عليك أن تُعيدَ المالَ إليهم
سواء رَضوا أو لم يَرْضوا .

سويد : إنهم لا يَرْضون أن تتخلوا عنهم وتتركوهم
لرؤسومهم سوء العذاب . ثم إن الجزيةَ

خاويةٌ ونحن في حاجةٍ إلى هذا المالِ .

أبو عبيدة : (غاضباً) بِئسَ ما وسوسَ الشيطانُ لك .
ألم تُفهمهم أننا إنما نستحقُّ منهم الجزيةَ
والخراجَ إذا قمنا بحِمَايتهم ، وإذ لا حمايةَ فلا
جزيةَ ولا خراجَ ؟

سويد : بلى واللهِ لقد أفهمتهم كلَّ شيء ، ولكنهم
أبوا أن يقبلوا المالَ ، وقالوا إنهم سيرسلون
وفداً إليك ليفاوضوك في هذا الأمر .

الحاجب : (يدخل) أيها الأمير .. وفدٌ من شيوخ
دمشق ومعهم الفتي يونس بن مرقص .
أبو عبيدة : أئذن لهم .

(يدخل يونس وخلفه ثلاثة من شيوخ دمشق
أحدهم مرقص والد يونس)

الشيوخ : السلام عليك يا أمير العرب .

أبو عبيدة : مرحباً بشيوخ دمشق الأجلاء .. اجلسوا
على الرُحْب والسَّعة .

مرقص : أنا والدُ يونس يا أمير العرب .

أبو عبيدة : أنت الشيخُ مرقصُ ؟
مرقص : نَعَمْ .
أبو عبيدة : مرحباً بك . إن يونس لفتى صالح وإنه
لحبيبُ إلينا .

مرقص : من أجل ذلك اختارني أهلُ دمشق على رأس
هذا الوفد لأتوسل إليك أن لا تنسحب من
مدينتنا وتتركنا للروم يعودون إلى ظلمهم
وتجبرهم .

أبو عبيدة : وأي شيء تُرهبكم من الروم؟ إنهم لن يُسيئوا
إليكم ويعاقبوكم إلا إذا أظهرتم محبتكم
لنا ، وقد جعلناكم في حلٍّ من ذلك ،
فاقدحوا فينا عندهم ونألوأ منا ، لا حرجَ
عليكم في ذلك .

مرقص : يا سيدي الأمير .. أترضاها لنا حياة تلك التي
نضطر فيها أن نمدح من نكره ، ونقدح

فيمَن نُحب ؟

أبو عبيدة : لن يطولَ بكم ذلك . سوف نعودُ إليكم إن
شاء الله ونخرُجهم منها مذحورين .

مرقص : ما دمتم تريدون العودة فعلامَ الخروج ؟

أبو عبيدة : إن هرقل قد حشد لنا جموعاً لم يحشد مثلها
من قبل قط . ونحن عددنا قليل ، وكل
طائفة منا في أرضٍ أو ناحية ، فإن لم نلقهم
مجتمعين في صعيد واحد فسيقضون علينا
جماعة بعد جماعة ، ثم يُطلقون كلابَ العرب
لتغزونا في عُقر دارنا .

مرقص : أما من سبيلٍ لبقائكم يا أمير العرب ؟
أبو عبيدة : لا سبيل .

مرقص : والعهد الذي بيننا ؟

أبو عبيدة : قائمٌ إذا شئتم ، نعودُ إلى العمل به حين
نعود .

مرقص : أنا والدُ يونس يا أمير العرب .

أبو عبيدة : أنت الشيخُ مرقصُ ؟

مرقص : نعم .

أبو عبيدة : مرحباً بك . إن يونس لفتىٌ صالحٌ وإنه

لحبيبٌ إلينا .

مرقص : من أجل ذلك اختارني أهلُ دمشق على رأس

هذا الوفد لأتوسل إليك أن لا تنسحب من

مدينتنا وتتركنا للروم يعودون إلى ظلمهم

فيمَن نُخب ؟

أبو عبيدة : لن يطولَ بكم ذلك . سوف نعودُ إليكم إن

شاء الله ونخرُجهم منها مدحورين .

مرقص : ما دمتم تريدون العودة فعلامَ الخروج ؟

أبو عبيدة : إن هرقل قد حشدَ لنا جموعاً لم يحشدَ مثلها

من قبل قط . ونحن عددنا قليل ، وكل

طائفةٍ منا في أرضٍ أو ناحيةٍ ، فإن لم نلقهم

مجمعين في صعيدٍ واحد فسقطنا ، علينا

مرقص : أنا والدُ يونس يا أمير العرب .

أبو عبيدة : أنت الشيخُ مرقصُ ؟

مرقص : نعم .

أبو عبيدة : مرحباً بك . إن يونس لفتىٌ صالحٌ وإنه

لحبيبٌ إلينا .

مرقص : من أجل ذلك اختارني أهلُ دمشق على رأس

هذا الوفد لأتوسل إليك أن لا تنسحب من

مدينتنا وتتركننا للروم يعودون إلى ظلمهم

فيمَن نُحب ؟

أبو عبيدة : لن يطولَ بكم ذلك . سوف نعودُ إليكم إن

شاء الله ونخرُجهم منها مدحورين .

مرقص : ما دمتم تريدون العودة فعلامَ الخروج ؟

أبو عبيدة : إن هرقل قد حشدَ لنا جموعاً لم يحشدَ مثلها

من قبل قط . ونحن عددنا قليل ، وكل

طائفةٍ منا في أرضٍ أو ناحيةٍ ، فإن لم نلقهم

مجتمعين في صعيدٍ واحد فسقضُنا ، علينا

مرقص : أنا والدُ يونس يا أمير العرب .

أبو عبيدة : أنت الشيخُ مرقصُ ؟

مرقص : نعم .

أبو عبيدة : مرحباً بك . إن يونس لقتي صالحٌ وإنه
لحبيبٌ إلينا .

مرقص : من أجل ذلك اختارني أهلُ دمشق على رأس
هذا الوفد لأتوسل إليك أن لا تنسحب من
مدينتنا وتتركننا للروم يعودون إلى ظلمهم
وتجبرهم .

أبو عبيدة : وأي شيء تُرهبكم من الروم؟ إنهم لن يُسيئوا
إليكم ويعاقبوكم إلا إذا أظهرتم محبتكم
لنا ، وقد جعلناكم في حلٍّ من ذلك ،
فاقدحوا فينا عندهم ونالوا منا ، لا حرجَ
عليكم في ذلك .

مرقص : يا سيدي الأمير .. أترضاهما لنا حياةً تلك التي
نضطرُّ فيها أن نمدح من نكره ، ونقدح

فيمَن نخب ؟

أبو عبيدة : لن يطولَ بكم ذلك . سوف نعودُ إليكم إن
شاء الله ونخرُجهم منها مدحورين .

مرقص : ما دمتم تريدون العودة فعلامَ الخروج ؟

أبو عبيدة : إن هرقل قد حشدَ لنا جموعاً لم يحشدُ مثلها
من قبل قط . ونحن عددنا قليل ، وكل
طائفةٍ منا في أرضٍ أو ناحيةٍ ، فإن لم نلقهم
بجتماعين في صعيد واحد فسيقضون علينا
جماعةً بعد جماعة ، ثم يُطلقون كلابَ العرب
لتغزونا في عُقر دارنا .

مرقص : أما من سبيلٍ لبقائكم يا أمير العرب ؟

أبو عبيدة : لا سبيل .

مرقص : والعهد الذي بيننا ؟

أبو عبيدة : قائمٌ إذا شئتم ، نعودُ إلى العمل به حين
نعود .

مرقص : دون أن تطالبونا بزيادة ؟

أبو عبيدة : ولا تطالبونا بنقصان .

مرقص : قَبِلْنَا يَا أَمِيرَ الْعَرَبِ .. بِشَرْطٍ وَاحِدٍ .

أبو عبيدة : مَا هُوَ ؟

مرقص : أَلَا تُعِيدُوا إِلَيْنَا مَالَ الْجَزِيَّةِ وَالْخِرَاجِ .

أبو عبيدة : إِذَنْ تُلْزِمُونَا بِجَاهَيْتِكُمْ وَالِدْفَعِ عَنْكُمْ .

مرقص : كَلَّا بَلْ نَعْفِيكُمْ مِنْ ذَلِكَ .

أبو عبيدة : نَحْنُ لَا نَأْكُلُ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ .

مرقص : هَذَا مَالٌ قَدْ خَرَجَ مِنْ أَيْدِينَا ، فَاحْسِبُوهُ لَنَا

لِعَامٍ قَابِلٍ .

أبو عبيدة : لَيْسَ لَنَا أَنْ نَأْخِذَ مِنْكُمْ شَيْئًا قَبْلَ حُلُولِ

مِيقَاتِهِ .

مرقص : إِذَنْ فَقَدْ طَابَتْ أَنْفُسُنَا لَكُمْ بِهِ .

أبو عبيدة : نَحْنُ لَا نَقْبَلُ صَدَقَةً .

مرقص : فَهِيَ هَدِيَّةٌ .

أبو عبيدة : الْهَدِيَّةُ مِنَ الرَّعِيَةِ رِشْوَةٌ .

مرقص : فَاحْسِبْهَا يَا أَمِيرَ الْعَرَبِ كَمَا تَشَاءُ .

أبو عبيدة : لَيْسَ ذَلِكَ لِي وَلَا لَكَ . إِنَّهُ مِلْكُ أَصْحَابِهِ

فَرُدُّوهُ إِلَى أَصْحَابِهِ .

مرقص : نَحْنُ مُفَوَّضُونَ مِنْ قِبَلِ أَصْحَابِهِ .

أبو عبيدة : وَيُحْكَمُ مَا إِصْرَارُكُمْ عَلَى ذَلِكَ ؟ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ

تَرْتَمُونَ ؟

مرقص : (لَا يَجِيبُ) .. ؟

أبو عبيدة : مَاذَا تَقْصِدُونَ مِنْ وراءِ ذَلِكَ ؟

يونس : إِنِّي مُخْبِرُكَ يَا أَمِيرَ الْعَرَبِ . إِنَّهُمْ يُرِيدُونَ

أَنْ يَسْتَوْثِقُوا مِنْ رُجُوعِكُمْ إِلَى الْعَهْدِ فَيَابَعِدُ .

أبو عبيدة : أَهَذَا هُوَ قَصْدُكُمْ ؟

الشيوخ : نَعَمْ .

أبو عبيدة : إِذَنْ فَاعْمُوا يَا أَهْلَ دِمَشْقَ أَنْتُمْ لَا نَعَامِلُكُمْ

أَنْتُمْ ، وَإِنَّمَا نَعَامِلُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ، وَهُوَ يَعْلَمُ

السِّرَّ وَأَخْفَى .

الشيوخ : لعن الله الذين كانوا يَمْلِكُونَنا من الروم .
والله لو كانوا هم ما رَدُّوا علينا بل
غَصَبُونَا ، وأخذُوا مع هذا ما قدرُوا عليه
من أموالنا . ردَّكم الله إلينا سَالِمِينَ ! ردكم
الله إلينا منتصرين !

المشود السادس

خيمة المثنى بن حارثة في ذي قار .
المثنى على سرير مرضه وعنده زوجته
سلمى .

يدخل بشير بن الخصاصية عَجِيلاً)
المثنى : مرحباً بك يا بشير . كيف حال أهلك ؟
بشير : ما زالت في الطلق ..
المثنى : ويح المسكينة . ألم يُفَرِّج عنها بعد ؟
بشير : أرسلت في طليبي يا مثنى ؟
المثنى : نعم إذا أنا ميتٌ يا بشير فانت على الناس ،
حتى يجيء قائدُ أمير المؤمنين وجيشُ أمير
المؤمنين .

بشير : قائدُ أمير المؤمنين ستلقاه أنت بنفسك
يا مُثني إن شاء الله .

المثنى : (يَبْتَسِمُ فِي أَسَى) إني قد أشهدتُ على
ذلك خاصّةً رجالي ، فارُجع الآن إلى أهلك
يرحمك الله .

بشير : (متردداً) ألا أُبقي قليلاً عندك ؟

المثنى : بل اذهبْ فلا ينبغي أن تتركها وهي في الطلق .
بشير : لديها شيرين وبعضُ النسوة .

المثنى : وأبو الغلام يجبُ أن يكونَ هناك ، وإلا فمن
يُدشّرُنه بالغلام ؟ ..

سلمى : معذرةً يا بشير . لولا المثنى لكنتُ هناك معهن .

بشير : لا تثريبَ عليكِ يا سلمى .

سلمى : حيثها عني .

المثنى : أستودعك الله يا بشير .

(يتوقف بشيرُ قليلاً ثم يخرج)

المثنى : (يتمتم) طارقٌ جديدٌ وراحلٌ مودّع !

سلمى : ما تقول يا مثنى ؟

المثنى : تلك هي الحياة . أما من نبأ عن المعنى أخي ؟

سلمى : لقد قال في كتابه أنه لن يتأخر عن اليوم .
لا تُشغِلنَّ بالك . لعله في طريقه إلينا الساعة .

المثنى : الساعة يا سلمى ؟

سلمى : الساعة .

المثنى : أخشى يا حبيبتي أن يتأخرَ قليلاً فينتظرني
إلى الأبد !

سلمى : قلبي يحدُثني أنه قادمٌ عما قريب .

المثنى : قد حدثني قلبي بقدومه منذ أمس ولكنه لم

يُقدم . آه يا سلمى ، لقد كنا يفترقُ بعضنا
عن بعض أياماً كثيرة ، بل شهوراً ذوات عدد ،
ولا يُحسُّ أحدنا بالم الانتظار كما أحسه الآن .
لكانما هو يجري جاهداً إلي ، وأنا أفرُّ
جاهداً منه .

(يسمع صهيل فرس)

سلمى : كذبتك أوها مُك . هذا صهيل فرسه !

- المثنى : ماذا وَضَعْتَ ؟ غلاماً أم جارية ؟
- شيرين : لا غلاماً ولا جارية . إنها في الطلق بعد .
- المثنى : في الطلق بعد ! أعانها الله .
- شيرين : أرسلوا في طلب قابلة عَجُوز من بني النمر . ابن قاسط ، يقولون إنها ماهرة .
- المعنى : عودي إليها يا شيرين فما ينبغي أن تُتركها وحدها .
- شيرين : ليست وحدها ، عندها بعض النسوة .
- المثنى : بشرني يا أخي . متى يجيء جيش أمير المؤمنين ؟
- المعنى : قد وصل إلى زرود .
- المثنى : في كم ؟
- المعنى : في عشرين ألفاً ، من نخبة أبطال الجزيرة وفرسانها وذوي الشجاعة والرأي فيها .
- شيرين : عشرون ألفاً لا تكفي لمواجهة الجيوش التي حشدتها يزدجرد .
- المثنى : يغفر الله لك يا شيرين . ليت الشَّموس تُقلّني . إذن والله لأفتحنَّ بها المدائن .

- المثنى : حمداً لله . كُتِبَ لنا لقاءٌ بعد .
- (يدخل المعنى فينهض المثنى إليه متحاملاً على نفسه)
- المعنى : مكانك يا أخي . لا تُجهِد نفسك .
- المثنى : الحمد لله إذ لقيتُك . كيف أنت أيها الأخ الحبيب ؟
- المعنى : (متأثراً) تسألني أنت يا مثنى كيف أنا ؟
- المثنى : (مبتسماً) قبل أن يُجَالَ بيني وبين السؤال عنك .
- (تدخل شيرين)
- شيرين : مُعْنَى !
- المعنى : شيرين !
- شيرين : الحمد لله من سَلامَتِكَ .
- المعنى : أين كنتِ ؟ هَلْ بقيتِ هنا عند أخيك وأختك ؟
- سلمى : لا تَلْمِها يا معنى . كانت عند جهمة تساعدها في الوَضْع .

المعنى : وسؤالها أمير المؤمنين بالمدد تلو المدد .

المثنى : الحمد لله . الآن يطيب لي الموت . لا بل تطيب

لي الحياة لو كان إليها سبيل . آه من لي بنزوة

على متن الشمس تخطر بي بين الصفوف ،

وتحت ظلال السيوف؟ يوماً واحداً يارب

أقاتل في سبيلك !!

المعنى : ستفعل يا أخي لا يوماً واحداً بل أياماً كثيرة

مُحَجَّلة ، حين يزول عنك ما بك .

المثنى : (مبتسماً) هيهات يا أخي لم يبق من أخيك

إلا ما به ، فإذا زال ما به زال !

سأله : (متجلدة) يا حبيبي إن الله قادرٌ على أن

يزيل ما بك في طرفة عين .

المثنى : (في ابتسامته التي لا تفارقه) صدقت أيتها

الحبيبية .. الله قادر سبحانه لو شاء (يغالب

الأم)

المعنى : هل تشعر يا أخي بوجع في جرحك؟

المثنى : لا يا معني ، قد صار كل جسدي جرحاً !

المعنى : لعل ذلك الطبيب الفارسي قد دس لك شيئاً

فيه (ينظر إلى شيرين)

شيرين : ماذا تقول؟ بختيشوع لا يمكن أن يخون

الأمانة .

المثنى : ما خطبك يا أخي؟ لقد أندمل الجرح بعدما

عالجني بختيشوع .

المعنى : اندمل حيناً ثم نغمر !

المثنى : كما عاش حارثة أبوك حيناً ثم مات . (يتجلد)

والآن حدثني يا معني عن قائد هذا الجيش .

أي رجل هو؟

المعنى : سعد بن أبي وقاص ، من السابقين الأولين ،

ومن العشرة المبشرين بالجنة .

المثنى : أعلم ذلك ، ولكن أي رجل هو في الحرب؟

المعنى : قد علمت أنك سألني عنه ، فاستقرأت آراء

الناس فيه فوجدتهم مجمعين على أنه أصلح

الناس لإمرة هذا الجيش ، وأنه يجمع بين

الشجاعة والرأي، وأنه الليثُ في برايته .

المثنى : إنعته لي .

المعنى : قصيرٌ ذِدْحَاحٌ ، بعيدٌ ما بين المنكبين ، ذو

هامةٍ ، جعدُ الشعر ، أشعرُ الجسد ، شثنُ

الأصابع .

المثنى : كهَيْئَةَ السبع ؟

المعنى : أجل كهَيْئَةَ السبع .

المثنى : بُوركتَ يا أخي ، الآن أثلجتُ صدري .

المعنى : ومع ذلك فقد خطر لأمير المؤمنين في أول

الأمر أن يُسند القيادةَ إليك .

المثنى : (فرحاً) أحقاً يا أخي خطرَ لأمير المؤمنين

أن يُسندها إليّ ؟

المعنى : نعم وأثني عليك بما أنت أهله .

المثنى : أثني عليّ عمر بن الخطاب ؟

المعنى : وعلي بن أبي طالب وغيرهما .

المثنى : الحمدُ لله .

المعنى : وقد أوشك أميرُ المؤمنين أن يُوليكَ إمرةَ

الجيش ، لو لم أعتريضُ أنا على ذلك من أجل

ما بك .

المثنى : أحسنتَ يا أخي صنْعاً . لكانما قد وُلّاني

أميرُ المؤمنين ؟

المعنى : والله إن كنتَ لها لأهلاً .

المثنى : فات الأوانُ يا معني ، فات الأوانُ . ألسنت

تري أن أحدنا يرغبُ في الأمر لا يبلغه ، حتى

إذا بلغه زهدَ فيه أو حيلَ بينه وبينه .

المعنى : لا تبتئس يا أخي ، لقد أرادَ اللهُ لك ما هو

أفضلُ .

المثنى : إن كنتَ تعني الشهادةَ . فأين أنا من الشهادة

ولم أمت في ساحةِ القتال ؟

المعنى : جرحُ جرحته في سبيلِ الله ، فإن متَّ منه

فأنت شهيد .

المثنى : سمع الله منك يا معني .

المعنى : وللشهيد الجنة فهنيئاً لك .

المثنى : ليت شعري هل يُجاهد أهل الجنة في سبيل الله؟

المعنى : لو كان بشير هنا لأفتاك .

شيرين : مبلغ علمي أن الآخرة دارُ جزاء لا دارُ عمل،

والجهادُ من العمل .

المثنى : ويحك يا شيرين ، لقد زِدْتَنِي الْآنُ حُبًّا

للحياة وكرَاهِيَةَ لِمَوْتِ . أَي لَذَّةِ لِلْعَيْشِ

دُونَ كَرِّ وَفَرٍّ ، وَدُونَ تَبْيِيتٍ وَتَصْبِيحٍ ؟

شيرين : ولو كان في جنة تجري من تحتها الأنهار؟

المثنى : ولو كان في جنة تجري من تحتها الأنهارُ .

لكن اسمعي يا شيرين ، أليس في الجنة كلُّ ما

تشتهيهِ الأنفُسُ وتَلذُّهُ الأَعْيُنُ ؟

شيرين : بلى .

المثنى : إذن فالجهادُ فيها موجود .

شيرين : كيف ؟

المثنى : والله إن دخلتها لأشتهين الجهاد، فلا جاهدن .

صوت : (ينادي من الخارج) يا مثنى بن حارثة !

المثنى : هذا صوتُ قُرط بن جَمَّاح العبدي ، قل له

يدخل .

(يخرج المعنى ثم يعود ومعه قرط)

المثنى : ما وراءك يا أخا عبد القيس ؟

قرط : قَابُوسُ بْنُ قَابُوسِ بْنِ الْمُنْذِرِ قَدِيمٍ مِنْ

الْمَدَائِنِ ، وَأَخَذَ يَطُوفُ بِبَطُونِ بَكْرِ بْنِ وَاثِلِ

يُوزَعُ فِيهَا الذَّهَبُ ، وَيَدْعُوهَا لِقِتَالِ الْمُسْلِمِينَ

فِي صَفِّ الْفُرْسِ .

المثنى : (مخاطباً) بئس ما خلف آباءه من بني المنذر

ابن ماء السماء . والله لو حملتني فرسي لطلبته

الساعة حتى أقتله . بكر بن واثل تكون مع

العجم على العرب ؟ تلك إذن سُبَّة الأبد .

المعنى : لا تتورن يا أخي فإن هذا يُهَيِّضُكَ .

المثنى : إن كنت تحبني يا معني فانطلق الساعة مع

رجالك، لتأْتيني برأس هذا اللخمي الزنيم،
وتؤلب بكر بن وائل عليه .

المعنى : الساعة يا أخي ؟

المثنى : أجل، ما جرؤ هذا الزنيم على ذلك إلا لما

سمع أنني مريض دنف، فليعلمن وشيكاً أن
وراء المثنى أخاه المعنى !

المعنى : أقسم لك يا أخي لا يقر لي قرار حتى أظفر

بهذا الخائن، ولكن أمهلني إلى الغد .

المثنى : بل الساعة يا أخي، قبل أن يشتري قلوب

قومنا بذهب يزدجرد .

المعنى : ألا أبقى عندك الليلة لعلك تحتاج إلي ؟

المثنى : قد فهمت ما تعني يا معني . كلا لست بنافعي

شيئاً عند الموت ، ولكنك ستنفع هناك إذا

منعت تلك اليد القذرة عن العَبَث .. انطلق

وتوكل على الله .

المعنى : حباً وكرامة . (يهيم بالخروج)

المثنى : أستودعك الله يا أخي . أستودعك الله يا قرط

ابن جماح .

المعنى : (ينظر إليه لحظة دون أن يتكلم) ...

المثنى : (كالمواصي) انطلق .. يا ليتني كنتُ معك .

(يخرج المعنى ويخرج معه قرط بن جماح

العبيدي)

المثنى : (يرى شيرين مكتئبة) لعلك ساءك يا شيرين

أن أرسلتُ المعنى في هذه السرية ، قبل أن

يستريحَ من عناء سفره ؟

شيرين : لا والله يا مثنى ، ما ساءني إلا أنه كان يودُّ

البقاء معك فلم يُتَح له ذلك .

المثنى : هكذا نحن بني حارثة مذكنا لا نجزع ولا

نُكِي ولا تَتَاوَه. وعلى نَسَائِنَا أَنْ يَكُنَّ مِثْلَنَا.
(يَلْتَفِتْ إِلَى زَوْجَتِهِ) سَلْمَى يَا بِنْتَ أَبِي خَصْفَةَ،
هَلْ لَكَ أَنْ تُحْضِرِي لِي الشَّمُوسَ؟

سَلْمَى : (فِي إِشْفَاقٍ) لَتَرَكِبَهَا؟

المثنى : يَا لَيْتَ ! بَلْ لَأَرَاهَا فَحَسْبُ، فإِنِّي فِي شَوْقٍ إِلَى
رؤُوتِهَا .

سَلْمَى : حَبَابًا وَكَرَامَةً . (تَخْرُجُ)

(تَجَهَّشُ شِيرِينَ بِالْبَكَاءِ)

المثنى : مَا خَطْبُكَ يَا أَخْتَاهُ؟ مَاذَا يُبْكِيكَ؟ عَهْدِي
بِكَ جَلْدَةً صَبُورًا، فَمَاذَا دَهَاكَ؟ أَمِنْ أَجْلِ
الْمَعْنَى؟ إِنْ سَفَرَهُ هَذَا لِسَفَرٍ قَرِيبٍ .

شِيرِينَ : بَلْ مِنْ أَجْلِكَ أَنْتَ يَا مِثْنَى .

المثنى : مِنْ أَجْلِ أَنِّي سَأَمُوتُ؟ هَذَا مُؤَرِّدٌ كَلْنَا
وَأَرَدُهُ .

شِيرِينَ : بِصَدَدِ بَخْتِيشُوعِ الطَّبِيبِ .

المثنى : بِبَخْتِيشُوعِ مَا شَأْنُنَا بِهِ بَعْدَ؟

شِيرِينَ : وَاللَّهِ يَا مِثْنَى مَا غَشَّكَ بِبَخْتِيشُوعِ وَلَا دَسًّا
لَكَ شَيْئًا فِي جُرْحِكَ، وَلَقَدْ عَالَجَكَ بِكُلِّ
نُصْحٍ وَأَمَانَةٍ .

المثنى : أَعْلَمُ ذَلِكَ يَا شِيرِينَ، وَأَعْلَمُ أَنْ يَزِدْ جُرْدُكَ
قَدْ أَوْعَزَ إِلَيْهِ بِأَنْ يَقْتُلَنِي فَأَبَى .

شِيرِينَ : مِنْ أَيْنَ عَلِمْتَ ذَلِكَ؟

المثنى : مِنْ بَعْضِ عَيُوفِي .

شِيرِينَ : وَمَاذَا تَعْلَمُ أَيْضًا غَيْرَ ذَلِكَ؟

المثنى : (يَنْظُرُ إِلَيْهَا مَلِيًّا) لَا أَعْلَمُ شَيْئًا فَهَلْ تَعْلَمِينَ
أَنْتَ؟

شِيرِينَ : نَعَمْ، مَا كَانَ لِي مَمْتَنٌ عَنْ إِيدَانِكَ لَوْلَا مَا كَانَ
بَيْنَهُ وَبَيْنَ وَالِدِي مِنْ قَدِيمِ الصَّدَاقَةِ وَمَتِينِ الوُدِّ .

المثنى : وَكَيْفَ عَرَفْتَ ذَلِكَ يَا شِيرِينَ؟

شِيرِينَ : إِنِّي أَرْتَبْتُ فِي أَمْرِهِ لَمَّا حَضَرَ، فَمَا زِلْتُ بِهِ

حتى اعترف لي بدسيسة يزدجرد.

المثنى : وكتمت عنا ذلك يا شيرين؟

شيرين : لم أجد من الخير أن أخبركم بأمره لئلا
ترتابوا به، فيحول ذلك دون علاجك، وقد
كنت حريصة على أن يعالجك فيبرئك من
جرحك.

المثنى : جزاك الله عني خيراً يا شيرين. لو لم يكن
عالمي بختيشوع لربما قضيت نحبي قبل أن
أسمع هذه البشري بقدم جيش أمير المؤمنين
وقائد أمير المؤمنين. أمسحي هذا الدمع
عنك فما ينبغي لنساء بني حارثة أن يبكين.

شيرين : (تمسح دمعها) الحمد لله الآن اطمأن قلبي.

المثنى : ترى ماذا فعلت امرأة بشير؟

شيرين : لو أنها وضعت لأرسل إليك من يبشرك.

المثنى : هلاً ذهبت إليها فرأيت ماذا فعلوا؟

شيرين : لا أتركك وحدك. حتى تعود زوجتك.

المثنى : ها هي ذي قد عادت.

(تخرج شيرين)

(تدخل سلمى وهي تقود الفرس، وإذ ترى
الفرس سيدها تدنو منه وتتشممه وهو
يمسح عنقها بيده)

المثنى : لا يحزنك الله يا شמוש. ترى كيف يكون
حالك من بعدي؟

سلمى : اطمئن يا ابن حارثة فلن يعوزها بعدك غير
وجهك، وإن ذلك لكثير عليها وعلى سائر
أحبائك.

المثنى : من تمام إكرامها أن يحوزها فارس كريم،
فلمن أوصي بها فيما ترى؟

سلمى : لأخيك المعنى فهو بها أحق.

المثنى : كلا يا سلمى بل لمن هو خير مني ومنه.

سالمى : خيرُ منك يا مُثني لم تلده أمه !

المثنى : ويحك ، إني أعني خيراً مني في الإسلام
وَصُحْبَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

سالمى : مَنْ ؟

المثنى : سعدُ بن أبي وقاصٍ أميرَ جيشِ المسلمين .
فأوصيك يا سلمى أن تُسلميها إليه .

سالمى : (تنظر إلى الفرس) انظر يا مثنى .. إنه
عينيها لتغرور قان بالدمع كأنما فهمت
حديثك !

المثنى : بل ألهمت ساعة الوداع !

سالمى : (تنظر إليه متجلدة تغالب شجناً يوشك أن
ينفجر) .. ؟

المثنى : (في رقعة) سلمى يا توأم النفس ويا نوط
القلب ، لطالما تجلدت وتجملت ، وقد آن
لك الساعة أن تُرسي دموعك فإني مُودع .

سالمى : (تجهش بالبكاء ، ثم تنفجر الدموع من

عينيها دون نحيب) نفسي فداؤك يا مثنى .
يا خير البعولة ، يا سيد الرجال . يا ليت يومي
قبل يومك !

المثنى : (يُجبل يده حول عنقها) فيضي .. فيضي
تنقسي عن كربك . وتفشأي من لوعتك .

سالمى : هيهات .. هيهات ..

المثنى : فيضي ... يا سلمى .. فيضي يا حبيبة المثنى
يا زين النساء .

سالمى : يا زين الشباب واحسرتاه على شبابك !

المثنى : يا بنت أبي خصفة ، أليس خيراً لي أن ألقى

الله شاباً لم يشمط لي شعر ولم يتغضن لي
وجه ولم ترعش لي يد ؟ . لقد كنت أكره

المشيب والكبر والعجز ، فهأنذا قد سبقت
المشيب والكبر والعجز ، فاللهم لك الحمد .

هانئذ قد سكن لأعجبك فأمسحي دمعتك
يا سلمى وابتسمي لي ، فإني اشتاق أن أرى

ثناياك تمور كزهر الربيع .

الثنى : أنت على الناس يا بشير حتى يحضر سعد ..
الحمد لله إذ لم أمت حتى جاء جيش أمير
المؤمنين . وقائد أمير المؤمنين .
(يموت)

(ستار)

سلمى : يا زوجي الحبيب .. (تمسح دمعها ثم تبتسم
في أسى)

الثنى : قبّلتني الساعة ..
(تقبله سلمى فيضمها إلى صدره فتتر آخى
يداه وتتسارع أنفاسه)

سلمى : (جزعة) ما خطبك يا مُثنى؟
الثنى : (بصوت متقطع) لا خطب يا سلمى بعد
اليوم .

صوت : (من الخارج) يا آل المثنى .. هل لي أن أدخل؟
سلمى : ادخل .

(يدخل بشير بن الخصاصية)

الثنى : بشير كيف أهلك؟

بشير : الحمد لله يا مثنى قد جاءني بغيّام .

الثنى : سمه باسمي يا بشير .

بشير : حباً وكرامة .